تراجع الوجود الروسي في سوريا وانعكاساته على إسرائيل

سحر بولوت

تتابع إسرائيل عن كثب الأخبار التي تفيد بتقليص روسيا قواتها في سوريا من أجل تعزيز وجودها في أوكرانيا، وذلك لوجود احتمال بأن يحل الإيرانيون والميليشيات الموالية لإيران محل القوات الروسية المنسحبة. وبعد هذا التطور، غادرت قوات نظام الأسد موقع اللواء المدرّع السوري 47 الواقع في جنوب منطقة حماة وتم تسليمه إلى القيادة الإيرانية.

تداولت وسائل الإعلام في الفترة الأخيرة أنباء عن عدم تمكن روسيا من تحقيق النتائج المرجوة في أوكرانيا، وأنها نقلت بعض قواتها من سوريا إلى أوكرانيا من أجل تقديم الدعم لقواتها على الساحة الأوكرانية. وفي هذه المرحلة، تتابع إسرائيل بعناية كيف ستتشكّل سياسات روسيا التي تعتبر الداعم الأكثر أهمية للنظام، ومن ناحية أخرى تتابع كيف يمكن للتحالف الذي تقوده الولايات المتحدة الرد على هذا التطور. وأعلنت إسرائيل انزعاجها من نقل القواعد التي تخلّت عنها روسيا في سوريا إلى الحرس الثوري الإيراني وحزب الله. جدير بالذكر أن التدخل العسكري الروسي في الأزمة السورية عام 2015 من أجل تقديم الدعم لنظام بشار الأسد ساهم بشكل كبير في بقاء نظام الأسد صامدا حتى الآن، كما ساهم في تمكّن القوات الموالية للنظام من استعادة الأراضي التي فقدتها قبل نزول روسيا على الأراض، وأصبحت روسيا إحدى نقاط التحوّل في الأزمة. وقامت إسرائيل وروسيا في عهد رئيس الوزراء الإسرائيلي الأسبق بنيامين نتنياهو، بالاتفاق على آلية لمنع تداخل عمل الجيشين الروسي والإسرائيلي من أجل منع وقوع حوادث بين الطرفين خلال العمليات العسكرية في سوريا، واستمرت هذه الآلية على الرغم من المتغيرات الميدانية. وفي هذا الصدد، واصلت إسرائيل عملياتها ضد إيران

والقوى الموالية لها منذ بداية الأزمة، وحاولت منع هذه الجهات من الاستقرار في المواقع التي ترى فيها تهديدا لها.

يبدو من المحتمل أن تعزز إيران علاقاتها مع حليفها القديم نظام الأسد، بعد التطورات المتعلقة بتراجع وجود روسيا في الميدان. ويشار إلى أن إيران خلال الأزمة كانت نشطة على طول ممر يمتد من قاعدة الإمام علي في منطقة البو كمال القريبة من الحدود العراقية إلى قاعدة (T-4) القريبة من تدمر. كما توسعت إيران اعتبارا من عام 2018 أيضا في المناطق القريبة من الجولان المتاخمة للحدود الإسرائيلية. لكن الوضع الأخير الذي وصلت إليه أنشطة إيران الرامية إلى تحقيق فاعلية ميدانية لا يشير إلى أن العملية ستمضي بسلاسة بالنسبة لإيران. لأن إيران التي زادت من نفوذها في الميدان بفضل غض روسيا الطرف عنها، ربما لن تكون قادرة على التصرف بسهولة كما كانت من قبل إذا تغير هذا الوضع.

ظلّت روسيا خلال الأزمة السورية حذرة بشأن أنشطة إيران الإقليمية حتى عندما كانت تتعاون معها، وحاولت دائما الحد من عمق تسللها إلى جيش الأسد وأجهزته الأمنية. وكانت آلية منع تداخل عمل الجيشين الروسي والإسرائيلي التي تم الاتفاق عليها بين روسيا وإسرائيل في عهد نتنياهو من أهم المؤشرات الرئيسية لسياسة موسكو هذه. واستمرت روسيا في تشغيل هذه الآلية ليس بهدف الحد من نفوذ إسرائيل فقط بل أيضا نفوذ إيران الإقليمي. وبهذه الطريقة حاولت روسيا حصر إيران من خلال إسرائيل. ويشار إلى أن الإدارة الإسرائيلية التي تهتم باستمرار بهذه الآلية تصرفت بحذر شديد في عملية تقييم الحرب التي بدأتها روسيا ضد أوكرانيا. وعلى الرغم من أن العلاقات بين أوكرانيا وإسرائيل لها خلفية تاريخية، إلّا أن الإدارة أظهرت نهجا سلبيا للتطورات الجارية في أوكرانيا، حيث يلعب العامل الأمني دورا هاما في آليات صنع القرار في إسرائيل. وحاولت

الإدارة الإسرائيلية ألا تكون طرفا في التوتر بين موسكو وكييف، وسعت للحفاظ على علاقاتها مع الحليفين اللذين تربطها بهما علاقات ذات أبعاد مختلفة، وفي الوقت الذي قدمت فيه مساعدات إنسانية إلى أوكرانيا عرضت التوسط في المفاوضات لحل الأزمة. ولكن إسرائيل التي لم ترغب في تهميشها بعد ردود الأفعال القوية من الرأي العام العالمي على ما قامت به روسيا في أوكرانيا، قامت في المرحلة اللاحقة بتوجيه انتقادات إلى روسيا. وأظهرت إسرائيل في الأيام الماضية موقفا مشتركا مع الولايات المتحدة بشأن استبعاد روسيا من مجلس حقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة، وقال وزير الخارجية الإسرائيلي يائير لابيد إن روسيا ترتكب جرائم حرب في أوكرانيا. وقوبل هذا الموقف برد فعل من روسيا. حيث أصدرت الخارجية الروسية بيانا تشير فيه إلى أن الإدارة الإسرائيلية تريد تحقيق مكاسب سياسية من الوضع في أوكرانيا، ووصفت تصريحات لبيد بأنها محاولة لصرف انتباه المجتمع الدولي عن القضية الفلسطينية الإسرائيلية التي تعتبر من أكثر الصراعات تعقيدا في القرن العشرين.

ونتيجة لهذا الموقف فإن وزير الخارجية الإسرائيلي لابيد الذي أراد أن يبدي موقفا واضحا بشأن أوكرانيا حتى وقت قريب، بذل جهدا ليكون وسيطا بين البلدين، وكان يهدف إلى الحفاظ على مستوى العلاقات بين إسرائيل وروسيا من خلال تجنب العقوبات التي ستفرض على روسيا. وبهذه الطريقة حاولت إسرائيل الحفاظ على مجال تحركها على الساحة السورية. وبعد الضربات الجوية الإسرائيلية على سوريا في الأيام الأخيرة من مايو/ أيار، قال أحد القادة الروس الكبار في البلاد إن صاروخا مضادا للطائرات أنتجته روسيا وباعته لاحقا إلى سوريا اعترض صاروخا أطلقته إسرائيل. ويعطي هذا الموقف دلالة مهمة على أن موسكو ستراجع سياساتها القديمة فيما يتعلق باستخدام إسرائيل المجال الجوي السوري. وعلى الرغم من أن التنسيق الجوي بين البلدين لم ينتهِ، فمن الممكن التنبؤ بأن المرحلة المقبلة لن تكون سهلة كما كانت من قبل بالنسبة لإسرائيل. إن كل هذه

التطورات تشير إلى أن على إسرائيل أن تتحرك في ظروف تزداد حساسيتها بسبب الحرب الأوكرانية.

من ناحية أخرى، تتابع إسرائيل عن كثب الأخبار التي تفيد بتقليص روسيا قواتها في سوريا من أجل تعزيز وجودها في أوكرانيا، وذلك لوجود احتمال بأن يحل الإيرانيون والميليشيات الموالية لإيران محل القوات الروسية المنسحبة. وبعد هذا التطور، غادرت قوات نظام الأسد موقع اللواء المدرّع السوري 47 الواقع في جنوب منطقة حماة وتم تسليمه إلى القيادة الإيرانية. كما شوهدت بعض التعزيزات العسكرية الإيرانية في تلك المنطقة. وعلى الرغم من أن هذا الوضع لا يحدث تغييرا كبيرا في

عدد الجنود الإيرانيين في سوريا، إلا أنه يفسر على أنه سيقدم مساهمات إيجابية في علاقات إيران مع سوريا. كما يمكن تفسير هذا الانتشار الذي تم بناء على رغبة وموافقة نظام الأسد، على أن سوريا فتحت المجال لإيران لسد الفجوة التي خلفتها القوات الروسية. وتنعكس المقاربات التي قامت روسيا بتفعيلها للميليشيات السورية التي ساعدت القوات الروسية في الميدان خلال فترة هدوء الاشتباكات في أوكرانيا، على أن روسيا لم ترفض مطالب نظام الأسد بشأن إيران. وعلى الرغم من أنه من المتوقع ألا تنتهي الحرب في أكرانيا خلال وقت قصير، إلا أنه من المتوقع أن تسحب روسيا عدد أكبر من وحداتها العسكرية المنتشرة في سوريا، بسبب حاجتها إلى تعزيز قواتها في أوكرانيا.

تسببت الإجراءات التي اتخذتها روسيا بغض الطرف عن تصرفات إسرائيل في سوريا في إثارة القلق لدى الإيرانيين، وظهرت مؤخرا ردود الفعل المتراكمة جراء ذلك عبر الانتقادات التي جاءت فيما يتعلق بالعملية التي بدأتها روسيا ضد أوكرانيا. وازدادت ردود الفعل هذه أكثر بسبب عدم إفساح روسيا المجال لإيران في عملية التعافي الاقتصادي للبلاد بعد انحسار الصراع، واستيلائها على حقول النفط السورية. كما انتقدت إيران تصريحات لافروف بشأن دعوته لإبعاد العقوبات عن التعاون الروسي الإيراني لعدم الإضرار بهذا التعاون، في حال توقيع الولايات المتحدة على اتفاق نووي مع إيران. وزادت هذه التصريحات التي تظهر أن هناك تعاونا مهما بين روسيا وإيران، من ردود الفعل الإيرانية ضد روسيا.

يتبين لنا أن إسرائيل من خلال ما تمتلكه من معلومات، بذلت جهودا أكبر لمنع انتشار إيران على الساحة السورية. ونشر وزير الدفاع الإسرائيلي بيني غانتس خلال الأيام الماضية تفاصيل حول المناورات المخطط لها للجيش الإسرائيلي ضد إيران، والتي تشمل محاكاة ضربات جوية من فوق سوريا ولبنان وقطاع غزة. وفي سياق مفهوم الحرب بين الحروب الذي تشير له إسرائيل، من المعروف أنها طرحت أسلوبا جديدا للحرب لاسيما ضد قدرات إيران في سوريا ولبنان. وقبل تنفيذ هذا المفهوم، تظهر إسرائيل التي تستهدف الجهات المرتبطة بإيران فقط وتشكل تهديدا ملموسا لها، موقفا أكثر استباقية في سياق هذا المفهوم الجديد. ويشير الانسحاب الروسي النسبي من بعض المناطق في سوريا إلى إمكانية تسهيل حركة إسرائيل في الميدان إذا تمكنت إسرائيل من إدارة التطورات على الجبهة الروسية الأوكرانية بشكل أفضل في المستقبل. والأخبار التي تفيد بأن إسرائيل زادت من عملياتها في سوريا خلال الفترة التي تحوّل فيها اهتمام روسيا إلى أوكرانيا، هي أحد أكثر الأدلة الملموسة على هذا الوضع. ومن المنتظر أن تخوض إسرائيل حربا أكثر كثافة وسرعة ضد إيران في الفترة المقبلة، مع تأثير الانزعاج الذي تشعر به إسرائيل بسبب تزايد ظهور إيران الإقليمي في بعض الدول العربية. ■

سحر بولوت: أكاديمية من تركيا، حاصلة على الدكتوراه في العلاقات الدولية من جامعة سلجوق، باحثة في قسم دراسات بلاد الشام في مركز أورسام.